قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (تحليل الخطاب) السنة الأولى ماستر، تخصص: لسانيات عربية

إعداد الأستاذة: هندة كبوسي

المحاضرة رقم: 04

يوم: 2021/04/20

عنـــوان المحاضرة: الخطاب ومناهج التحليل البنوي

تمهيد:

تعدّدت وتنوعت مقاربات تحليل الخطاب بتعدّد المداخل والرؤى، وتعدّد الحقول المعرفية التي ينهل منها، وبحسب مركزية الدائرة الإبداعية، فالمناهج السياقية (تاريخية، نفسية، اجتماعية) اهتمت بالمؤلف، وجعلت منه مركزا في تحليل الخطاب، أما المناهج الحداثية النسقية (بنوية، أسلوبية، سيميائية) فقد ركزت على النص، وأقصت كلا من المؤلف والقارئ، مما أدّى بالمقاربات ما بعد الحداثية (نظرية القراءة والتلقي، التأويل، التفكيك، التداولية) إلى تحويل السلطة والمركزية إلى القارئ، ليحوّل تحليل الخطاب مساره التحليلي من سلطة النص إلى سلطة القارئ. وعليه ستستجلي هذه المحاضرة وغيرها من المحاضرات اللاحقة. الاختلافات القائمة بين الاتجاهات الحداثية وما بعد الحداثية التي استثمرها تحليل الخطاب في مقاربته لمختلف الخطابات.

1-النص وإزاحة السياق: عرف تحليل الخطاب في الدرس النقدي الحديث والمعاصر جملة من التطورات والتحوّلات، مما أفرزت مناهج نقدية جديدة سميت بالمناهج النسقية، خلافا لما سبقها المسماة بالمناهج السياقية، حيث تركز المناهج النسقية على أدبية الأدب لتجعل همّ قراءتها داخل نظام مستقل لمعرفة قيمته الجمالية النابعة منه، وهي بذلك تؤسس رؤية مغايرة للنص/الخطاب ليصبح عندها نصا مغلقا على ذاته مستقلا عن عالمه الخارجي سواء كانت نفسية أم تاريخية أم اجتماعية... هذه الرؤية الجديدة للنص كانت نقلة نوعية لتحليل الخطاب من السياق إلى النسق وتزعمتها البنوية التي انطلقت في عمليتها التحليلية له، والكشف عن

بناه من داخل اللغة لا من خارجها، وراحت تتعامل مع المؤلف بنوع من السلطة القاهرة فأسقطته بمقولة "موت المؤلف" وهي فكرة ترتدّ إلى جذور فلسفية غربية وذلك حين أعلن نيتشه "موت الإله" وروجي غارودي "موت الإنسان" لتلاقي هذه الفكرة ترحيبا كبيرا في مجال الدراسات الأدبية والنقدية التي عدّت تعبيرا عن لحظة التحوّل في أوروبا آنذاك. فقد أعلن الأدباء موت الشخصية في المجال الأدبي وموت المؤلف في المجال النقدي مع رولان بارت إذ يقول "الكتابة قضاء على كل صوت، وعلى كل أصل، الكتابة هي هذا الحياد، هذا التأليف واللف الذي تبثه فيه ذاتيتنا الفاعلة، إنها السواد–البياض الذي تضيع فيه كل هوية، ابتداء من هوية الجسد الذي يكتب".

وبذلك تكون الكتابة عند "رولان بارت" موتا للمؤلف الذي يموت بانتهاء تأليفه فتصبح تلك الذات الفاعلة فلا يبقى إلا النص ونسقه المغلق. هذا النسق الذي لا علاقة له بالأشخاص بعيدا عن الذات إذ أصبح مهما خاطفا يخترق الإنسان. وسجنت القارئ لتجعل منه قارئا مستهلكا لا قارئا منتجا، وأغلت من شأن النص لتصنع منه مركزا سلطويا.

ونجد أيضا المنهج السيميائي الذي اتّخذ في عملية تحليله للنص ثنائية قام عليها تحليل الخطاب هي ثنائية الداخل والخارج وتبنّيه للأول باعتباره أساسا ومركزا. فالسيمياء بحث في داخل النص عن إشارات وعلامات ورموز "فهو في تركيزه على حياة العلامة في النص، ومعالجتها شكلانيا يشبه إلى حدّ بعيد نشاط النقد الجديد في اعتباره النص كيانا مغلقا على نفسه لا يحيل إلى خارج ذاته".

وعليه إنّ تحوّل الخطاب من السياق إلى النص قد حوّل معه مفاهيمه ومصطلحاته، حيث جعل من مفهوم النسق/البيئة أساسا ومركزا في عملية القراءة يسعى من خلاله إلى ربط العناصر داخل نظام واحد، ودراسة العلاقة بينها من أجل بناء نظام كلي متكامل ومتناسق داخل اللغة/النص فهو طريقة منهجية في محاولة القبض على البنى الكلية وطريقة ترابطها وتفاعلها فيما بينها.

1-2-الدلالة وسلطة النص:

إنّ الحديث عن سلطة النص إنما هو في الحقيقة حديث عن المناهج النسقية، وتحديد البنوية ذلك باعتبارها منهجا نقديا يسعى إلى الوصول إلى نظام اللغة والنص، فاتخذت من اللغة مركزا لها واعتبرتها مجموعة من العلامات المترابطة في ما بينها، وهذا الترابط الذي سيتشكل من خلاله تتكون الدلالة/المعنى، وإن هذه الأخيرة تتشكل داخل النظام اللغوي وفي بنية النص الأدبي والبنية عند البنويين هي أساس الدلالة لكن موضوع التحليل البنوي لا يسعى إلى اكتشاف هذه الدلالة، إنما موضوعه هو كيفية تشكلها وكيفية الوصول إلى النسق والنظام المتحكّم في عناصر النص، وبذلك تصبح الدلالة غير مهمة عندهم. إنّ هذه النظرة البنوية للدلالة لم تكن وليدة من فراغ. إنما هي راجعة من تأثرها بالدراسات اللغوية السوسيرية، وكذا دراسات الشكلانيين الروس والنقد الجديد؛ حيث نظر هؤلاء إلى الدلالة/المعنى على أنّها ليس لها أهمية بقدر ما للبنية، وكيفية وآليات تشكّلها من أهمية في التحليل ودراسة النص.

إنّ دعوة المناهج النسقية في إعلائها من سلطة النص ذلك لرؤيتها له بأنه يمتلك من الاستقلالية والخصوصية عالما قائما بذاته، وغير مضطر لأن ينسخ الواقع أو يحاكيه، وبهذا تكون الدلالة قائمة في النص لا خارجه. وقد اهتمت الشكلانية الروسية بجانب من النص وهو الجانب الشكلي الفني بدعوى الموضوعية والعلمية فكانت الدلالة غير مشغلهم، إنما حاولوا دراسة التقنية والبراعة الأسلوبية فركزوا على ما يجعل من الأدب أدبا وهو ما أسماه جاكبسون بـ "الأدبية" بقوله "ليس الأدب إنما هي الأدبية، أي تلك الخصائص التي تجعل من عمل معين عملا أدبيا"، فالأدبية إذًا هي مجموع تلك الخصائص الداخلية المشتغلة في العمل الأدبي التي تنتجه وتميزه، ويستخدم (شكلوفسكي) مصطلح التغريب الذي يوضحه في دراسة "الفن تقنية" بقوله "إنّ غرض الفن هو نقل الإحساس بالأشياء، كما تدرك وليس كما تعرف. وتقنية الفن هي إسقاط الألفة عن الأشياء وتغريبها، وجعل الأشياء صعبة، وزيادة صعوبة فعل الإدراك"، إذًا فقد ركز الشكلانيون على هذه التقنية وتناولوا الأدب على أنه استخدام خاص للغة يحقق عبره الانحراف على اللغة العلمية وتشويهها، وهذا ما يميّزها عن اللغة الأدبية التي ليس لها وظيفة علمية لكنها تجعلنا نرى بشكل آخر مختلف، كما اهتموا أيضا بالشكل على حساب المضمون، وبهذا تكون نسقية المناهج تشكل سلطة نصية قائمة على النسق المغلق، ولكن تضع الدلالة في متاهة الضياع.

لقد اكتسب مفهوم الكتابة والقراءة حيزا في المنهج البنوي الذي أصبح له بعدا أوسع في مناهج ما بعد البنوية، وكان التركيز على هذا المفهوم مرتبط بتلك القفزة من الاهتمام بالمؤلف إلى الاهتمام بشبكة العلاقات التي ترتبط فيما بينها لتُكون بنية كلية للعمل الأدبي فصارت الكتابة منظومة من القواعد التي تحتوي على تفاعلات نصية، وصارت القراءة مرتبطة بالنص المنطوي على معان ثابتة، ويكون دور القارئ عندها دور المحلل التركيبي والمركب المحلّل الساعي إلى كشف شبكة العلاقات والقبض على معانيها. فالقارئ البنوي ليس حرا في تشكيل الدلالة ولا إنتاجها من خلال ملء شقوق وفراغات النص التي يتركها المؤلف ليصبح القارئ عندها في قبضة اللغة.

وعليه نجد أن المناهج التي اتخذت من النص سلطة وأعلت من شأنه مختلف جوانبه حتى جاءت في دراسة معناه الكامن فيه أو إدراكه، وبهذا يكون طرحها ودراستها أمام تكوين سلطة نصية تضيع المعنى.

قائمة المراجع:

-عبد الوهاب جعفر، البنوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، ط1، دار المعارف، مصر، 1983.

-ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي .

-عبد العزيز حمودة، المرايا المحدّبة، من البنوية إلى التفكيك، عالم المعرفة.

-جان بياجيه، البنوية، تر: عارف منيمنة وبشير أوبري، ط4، منشورات عويدات، بيروت، 1985.

-زكرياء إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، النجالة

-ليفي ستروس، الأنثروبولوجيا البنوية، تر: مصطفى صالح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1977.

- حمزة بوساحة، تحليل الخطاب وإشكالية القراءة -من سلطة النص إلى سلطة القارئ-.